158546 - تفسير قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى)

السؤال

فى سوره العلق آية : (أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى) ، أرجو توضيح الآيه ، علما بأن الصلاة لم تكن مفروضة حينها .

الإجابة المفصلة

أولا :
قال الله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)
العلق/ 9 – 19
روى مسلم (2797) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ . قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي – زَعَمَ – لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا) قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ – لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ – (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى) ... الآيات .

وروى الترمذي (3349) وصححه ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي
الله عنهما قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي
فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ : أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ
هَذَا أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا ؟ فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَبَرَهُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا
بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ *
سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَوَاللَّهِ لَوْ دَعَا
نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ .

قال ابن كثير رحمه الله :

" نزلت في أبي جهل لعنه الله ، توعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة عند البيت ، فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولا فقال : (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى) أي : فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ، أو (أَمَرَ بِالتَّقْوَى) بقوله ، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ؛ ولهذا قال : (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) أي : أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء ". انتهى من"تفسير ابن كثير" (8/ 438)

فقد دلت هذه النصوص على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة أول الدعوة ، وأن أبا جهل لعنه الله كان يتغيظ عليه في ذلك وينهاه ويتوعده ، فأنزل الله هذه الآيات .

على أنه ينبغي أن يعلم هنا أن سورة العلق لم تنزل كلها دفعة واحدة ، بل الذي نزل أولا هو صدر هذه السورة ، حتى قوله تعالى : (علم الإنسان ما لم يعلم) ، وأما باقي السورة فإنما نزل متأخرا بعد ذلك .

ففي حديث بدء الوحي عند البخاري (4954) ومسلم (160) : قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جَاءَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَقَالَ له اقْرَأْ .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ
... الحديث ، وفيه : (فَقَالَ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ : (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) لفظ البخاري .

ولفظ مسلم : (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ
ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :

" سورة المدثر هي أول ما نزل من القرآن بعد أول سورة (اقرأ) ". انتهى من"شرح العمدة" (4 /404)

وقال أبو حيان الأندلسي :

" هذه السورة مكية – يعني سورة العلق – وصدرها أول ما نزل من القرآن ، وذلك في غار حراء على ما ثبت في صحيح البخاري وغيره ". انتهى من"تفسير البحر المحيط" (8 /488) .

ثانيا :

الصلاة كانت مشروعة قبل "الإسراء" ، كما دل على ذلك سورة العلق ، والأحاديث المذكورة في سبب نزولها ، ودل عليه أيضا سورة المزمل ، وما فيها من وصف قيام النبي صلى الله عليه وسلم لليل ، هو وطائفة ممن معه من المؤمنين ، وسورة المزمل من أوائل ما نزل ، ودلت عليه نصوص كثيرة ، ووقائع عديدة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" كَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْل الْإِسْرَاء يُصَلِّي قَطْعًا ،
وَكَذَلِكَ أَصْحَابه ؛ لَكِنْ اُخْتُلِفَ هَلْ اُفْتُرِضَ قَبْل الْخَمْس شَيْء
مِنْ الصَّلَاة أَمْ لَا ؟ " انتهى .

وينظر إجابة السؤال رقم : (145725)

.

والله أعلم .